معجم الخصائص لابن جنّي

سنتعرف على كتاب الخصائص، وقبله تعريف مؤلفه: ابن جني.

نسبه:

"هو أبو الفتح عثمان بن جنّي الموصلي النحوي العربي، من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، وصاحب التصانيف الفائقة المتداولة في اللغة"[1].

كان أبوه – جني– مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي.[2] ولقد أراد ابن جني تفسير اسم أبيه جني الرومي، فوجد أنه يعني في العربية: الفاضل، وتعني في اليونانية: كريم، نبيل، عبقري، مخلص.[3]

مولده ووفاته:

ولد في الموصل قبل سنة ثلاثمائة، وقيل قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة،وتوفي في ليلة الجمعة السابع والعشرين من صفر سنة 392هـ.[4]

صفاتـه

"كان رجل جدّ وامرأ صدق في فعله وقوله فلم يعرف عنه اللهو والشرب والمجون، وكان عف اللسان والقلم يتجنب الألفاظ المندية للجبين، ولم يكن همه رضاء الملوك ومنادمتهم كأدباء عصره.[5]

كان ابن جني من أتباع المذهب البصري، ولكن خلق العالم أبى عليه أن يكون متعصبا لهذا المذهب، فكان يأخذ بالرأي الذي يقتنع به أيا كان مصدر هذا الرأي، فنحن نراه في الخصائص يكثر

---

[1]– أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط1، 1998م، ج11، ص 360.

[2]– ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة،1977 بيروت، ج3، ص 254.

[3]– ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق:محمد النجار،ج1، دار الكتب المصري ، ص 8.

[4]– الحنبلي،أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت، ط2 ، 1979 ج3، ص 141.

[5]– ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، 14/1.

النقل عن الكسائي وثعلب (أبو عباس أحمد بن يحيى)، وقد يقف موقفا وسطا بين المذهبين البصري والكوفي ويأخذ بالمذهب البغدادي[6].

وكان حجة في علم التصريف، وقد مكنه علمه هذا من أن يضع يده على الأخطاء التي وردت في أمهات المعاجم ومنها كتاب العين للخليل والجمهرة لابن دريد، فهو يشير إلى ما ورد من أخطاء في كتاب العين، مبرئا الخليل من أن يكون قد وقع فيها"[7]، "أما كتاب العين ففيه من التخليط والخلل والفساد ما لا يجوز أن يحمل عن أصغر أتباع الخليل فضلا عن نفسه، ولا محالة أن هذا التخليط لحق هذا الكتاب من قبل غيره"[8]

شيوخه:

أخذ ابن جني النحو عن الأخفش وبعده عن أبي علي الفارسي، وأخذ عن كثير من رواة اللغة والأدب منهم أبو بكر محمد المعروف بابن مقسم ، وروى عن ثعلب، كما روى عن المبرد. ويروي ابن جني عن الأعراب الذين لم تفسد لغتهم، وممن أخذ عنهم أبي عبد الله الشجري.[9]

صحبته لأستاذه أبي علي الفارسي:

لقد أخذ عنه وأحسن الأخذ عنه، وهو الذي أحسن تخريجه ونهج له البحث.[10] وتجمع الروايات على أن أبا الفتح صحب أبا علي بعد سنة 337هـ ولازمه في السفر والحضر أربعين سنة، وأخذ عنه.[11]

صحبته للمتنبي:

---

[6]– ابن جني، الخصائص، مقدمة التحقيق، ص 46.

[7]– عز الدين اسماعيل، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، ط1، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2003م، ص 340.

[8]– السيوطي ، المزهرفي علوم اللغة و أنواعها ، تحقيق فؤاد علي منصور ، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت، 1998 ص 79.

[9]– التنوخي، أبو المحاسن ، تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم ،تحقيق: عبد الفتاح الحلو(الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، 1981 ص 441.

[10]– القفطي، أبو الحسن علي،إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم(دمشق، دار الفكر،ط1، 1986)2/ 336.

[11]– اليماني، عبد الباقي، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، تحقيق: عبد المجيد دياب(الرياض، مركز الملك فيصل، ط1، 1986)200.

كان ابن جني يعجب بالمتنبي ويستشهد بشعره في المعاني، وهو أول من شرح ديوانه.[12]

مصنفاته:

ترك ابن جني للأجيال بعده من مصنفاته ما بلغ سبعة وستين مصنف، مابين وجيز ووسيط وبسيط ، منها ما هو مطبوع، ومنها ما ذكر المفهرسون مكان وجوده، ومنها ما لا نجد له ذكرا ولا في فهارس المخطوطات[13]، ومن مصنفاته المشهورة:

كتاب الخصائص، اللمع في النحو، المحتسب في شرح الشواذ، المقصور والممدود، المذكر والمؤنث،وتفسير ديوان المتنبي وغيرها.[14]

التعريف بكتاب الخصائص

كتاب الخصائص من الكتب اللغوية القديمة، يبحث في خصائص اللغة العربية، وقد نص المؤلف على هدف تأليف هذا الكتاب، وأنه ليس البحث في المشكلات اللغوية الجزيئية، ولكن البحث في مشكلاتها الكلية، أي في فلسفتها. يقول: "إذ ليس غرضنا فيه الرفع والنصب والجر والجزم؛ لأن هذا أمر قد فرغ في أكثر الكتب المصنفة فيه منه، وإنما هذا الكتاب مبني على إثارة معان المعاني، وتقرير حال الأوضاع والمبادئ ، وكيف سرت أحكامها في الأنحاء والحواشي"[15]، كذلك من الأهداف:

– الكشف عن أسرار اللغة العربية الشريفة، وإقامة الأدلة على ما حوَتْه من خصائص الحكمة ووجوه الإتقان والصنعة.

– أيضًا من الأسباب والدوافع: أن ابن جني عمل كتابًا في أصول النحو العربي بمفهومه العام، على غرار كتابه "أصول الفقه وأصول الكلام" عندما كان البصريون والكوفيون على كثرة ما بحثوا

---

[12]– ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ج3، ص 247.

[13]– النعيمي، حسام سعيد، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الرشيد، العراق، ط1، 1980، ص 20.

[14]– كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين ، دار إحياء التراث، بيروت، (د.ت) ج6، ص 251.

[15]– ابن جني، الخصائص ج1، ص 32.

وألّفوا قد تتكّبوا هذا الطريق، ولم يعرضوا لتلك الأصول، إلا ما كان من أبي الحسن الأخفش، وأبي بكر بن السراج في كتابيهما، وكما يقول ابن جني: "ينقصهما التفصيل والاستيعاب".

– أيضًا من الدوافع: أن ابن جني وجد أن طلاب العربية في عصره في حاجة إلى كتاب يشبع نهمهم من تلك الأصول اللغوية.

– يضاف إلى ذلك: أن ابن جني كان لديه رغبة أكيدة في القيام بواجبه إزاء اللغة العربية، عسى الله أن يجزيه عن لغة القرآن المبين أحسن الجزاء.[16]

هذا بالنسبة للدوافع التي دفعت ابن جني إلى تأليف كتابه "الخصائص".

موضوع الكتاب

كتاب "الخصائص" لابن جني ليس كتابًا في النحو، ولا في الصرف، مع أن الكثير من مسائل وأبواب هذا الكتاب لا تخلو من مسائل النحو والصرف. هو يعد كتاباً في أصول اللغة العربية، حيث يعرض فيه ابن جني لما صح أن يطلق عليه اسم: القوانين الكلية والمبادئ العامة التي تُردّ إليها معظم المسائل النحوية والتصريفية واللغوية، يقول:

"فإن هذا الكتاب ليس مبنيّا على حديث وجوه الإعراب وإنما هو مقام القول على أوائل أصول هذا الكلام وكيف بدئ وإلام نُحِى وهو كتاب يتساهم ذوو النظر من المتكلّمين والفقهاء والمتفلسفين والنحاة والكُتّاب والمتأدّبين التأمّل له والبحث عن مستودعه فقد وجب أن يخاطب كل إنسان منهم بما يعتاده ويأنس به ليكون له سهم منه وحِصّة فيه"[17]

وقد سُبق ابن جني في هذا المجال بأبي الحسن الأخفش، وابن السراج؛ ولذلك ابن جني في "الخصائص" في المقدمة يقول: "وذلك أنَّا لم نر أحدًا من علماء البلدين –الكوفة والبصرة– تعرّض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه. فأما كتاب "أصول بكر" – بكر بن السراج– فلم يلملم فيه بما نحن عليه إلا حرفًا أو حرفين في أوله، وقد تعلق عليه به، وسنقول في معناه على

---

[16]– ينظر صالح بلعيد، مصادر اللغة، ص 147.

[17]– ابن جني، الخصائص، ج1 ص67.

أن أبا الحسن –الأخفش– قد صنف في شيء من المقاييس كتيبًا إذا أنت قرنته بكتابنا هذا علمت بذاك أنَّا نُبنا عنه فيه، وكفيناه كلفة التعب به"[18].

إذًا من خلال هذا الكلام الذي ذكره ابن جني يتضح سبْق الفقهاء والمتكلمين إلى التعلق بتلك الأصول العامة؛ ولذلك اقتفى النحويون أثر الفقهاء والمتكلمين.

منهج ابن جني في التأليف

يعد منهج ابن في كتابه الخصائص منهجاً وصفياً تحليلياً ،حيث يصف الظاهرة ويضع النتيجة تحت كعنوان، مثلا (القول في اللغة إلهام أم اصطلاح، ثم يأتي بأصول عامة تتمثل في قياس وينقسم إلى (مقيس ومقيس عليه وعلة وحكم، ويورد بعض المسائل والعناوين وهي فروع للمسائل التي أصل لها بهذه العناوين السماع، القياس، الإجماع، الاستحسان، الاستصحاب) إي إنه يعرف الأصل ثم يأتي بمسائله الفرعية التي تتوارد تبعاً لكل مسألة وربما هو قدم وأخر[19].

---

[18]–ابن جني، الخصائص، ج1 ص67.

[19]– عز الدين إسماعيل، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، ص 268.